

دور الأعراف والمجتمع في التأثير على هوية الأنثى ودور الإسلام في تشكيلها.

The Sociocultural Construction of Female Identity: Interactions Between Social Norms and Islamic.

حرير عودة، قاسمي أحمد

¹ جامعة وهران 1، harirouda20@gmail.com

² جامعة وهران 1، ahmedgasmi635@gmail.com

تاريخ القبول: 2026/05/12

تاريخ الاستلام: 2025/10/08

الملخص:

تمثل الأسرة وثقافة المجتمع الركيزة الأساسية في تشكيل هوية المرأة، فهي قد تكون مصدر دعم يعزز الثقة والاستقلالية أو عامل ضعف وتقييد، مما يستدعي تربية متوازنة تجمع بين الثبات على العقيدة والقدرة على مواجهة التحديات. وقد تطرق البحث إلى ذلك وإلى دور المؤسسات التعليمية في صقل شخصية الأنثى عبر التعليم والتنشئة المتكاملة، كما أن العدالة بين الجنسين والخطاب الودي الرحيم يعززان توازنهما النفسي والاجتماعي. وإلى جانب ذلك يبيّن الدراسة دور البيئة والمجتمع في ترسيخ القيم وتنمية الاستقلالية وتوسيع المدارك، وإلى تأثير التنشئة الأسرية المتوازنة إيجاباً في بناء شخصية قوية، في حين أن الأساليب السلبية تضعفها وتربك مسارها. وبيان حماية الإسلام للأنثى ليصون المرأة من التشييء، ويؤكد مكانتها كإنسان كامل الحقوق والواجبات، فتبني هويتها على الكرامة والقيم الحضارية، بما يضمن توازناً بين استقلاليتها الفردية ودورها الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: هوية المرأة المسلمة. العرف. الأسرة. النسوية. المجتمع الذكوري.

Abstract:

The family and societal culture constitute the cornerstone in shaping women's identity, as they may serve either as a source of support that fosters confidence and independence, or as a factor of constraint and vulnerability. This necessitates a balanced upbringing that integrates steadfastness in faith with the capacity to confront challenges. The study addresses this issue and highlights the role of educational institutions in refining female identity through comprehensive education and upbringing. Furthermore, gender equity and nurturing, compassionate discourse enhance psychological and social balance. The research also demonstrates the role of the environment and society in consolidating values, cultivating independence, and broadening horizons, in addition to the positive impact of balanced family upbringing in developing a strong personality, whereas negative practices weaken and destabilize it. The study further elucidates Islam's

protection of women from objectification, affirming their status as fully entitled human beings, endowed with rights and responsibilities. Accordingly, women's identity is constructed on the basis of dignity and civilizational values, ensuring a balance between individual autonomy and social roles.

Keywords: Muslim Women's Identity, Customary Norms, The Family Institution, Feminism, Patriarchal Society.

1. المقدمة:

تعد المرأة الركيزة الأساسية و الشريحة المهمة في تكوين المجتمعات، لما لها من مكانة بالغة الأهمية في التربية وتكوين الهوية الإنسانية. وقد ساهمت عبر مختلف عصور التاريخ في لعب أدوار مختلفة وإدارة شؤون متنوعة، فقد كانت سياسية ومفكرة وطبيبة وعاملة وفقيهة، وهذا ما نلاحظه عند قرائتنا لتاريخ الحضارة الإسلامية. فقد كانت المرأة المسلمة شريكا عميق الأثر والتأثير في مسيرة الدعوة والجهاد وبناء المجتمع الإسلامي، منذ لحظة نزول الوحي الإلهي، بدءا بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها أول من أسلم، إلى سمية بنت خياط رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام. إلى صحابيات جليلات أمثال الخنساء، والشفاء بنت عبد الله وأسما بنت أبي بكر الصديق... وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين.

وهذا ما يدل على سلامة النظام التربوي الإسلامي الأثوي و أصالته في صدر الإسلام، والذي ساهم في تكوين شخصية المرأة القوية والفاضلة، وتهيئتها للمشاركة الفعالة في مواجهة تحديات عصرها، وتميزها عن نساء الحضارات السابقة. فعملية بناء الهوية الأثوية في بداية مراحل الطفولة الأولى تقع على عاتق الأسرة التي تشكل النواة الحقيقية في إعداد وتهيئة الأثي من جميع النواحي الروحية والجسدية والمعرفية والعقدية والأخلاقية السلوكية وغيرها.

فالتنشئة السوية تبدأ من الأسرة لتنتهي بمختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالروضة والمدرسة والمسجد والنوادي العلمية وغيرها من الوسائط الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد ليكتسب مهارات وأخلاق وقيم ومعارف فكرية وأدبية.

فالهوية الإنسانية بصفاتها العامة تتمثل في بصمة الإنسان التي يتميز بها عن غيره، ويتفرد بها من خلالها عن سواه. وهي عنصر الديمومة والبقاء، والأثر الرجعي الذي يحي به الإنسان إنسانيته ويغذي روحه. فلا يمكن لأمة تريد لنفسها البقاء والتميز أن تتخلى عن هويتها، لأن الهوية الإسلامية بصفاتها الخاصة تتمثل في المرأة لأنها المسؤول الأول عن الإعداد التنشئة، فإذا أردنا بناء جيل كامل من العظماء، فلا بد لنا من إنشاء نساء قويات الشخصية، مناضلات، عظيمات.

ولتحقيق ذلك لا بد لنا من طرح الإشكالية التالية و التي تم صياغتها كالتالي :

- ماهي السلوكات والأساليب الاجتماعية المسؤولة عن بناء أو هدم الهوية الأثوية؟ وكيف يتم تحقيق الوعي الأثوي السوي والسليم ذي المرجعية الإسلامية الصحيحة؟.

وقد كان هدي من البحث إبراز معاناة المرأة المسلمة في المجتمعات التي تعيش فيها، وتبيان الأثر السلبي الذي تخلقه التربية السيئة للأنثى، بدء من الأسرة إلى مختلف الوسائط الاجتماعية، وكيف يؤثر ذلك في عملية بناء هويتها وذاتها، ويساهم في تلاشي كينونتها الداخلية وهدمها، للتشكل لديها أزمة هوية وإغتراب، ويهدف البحث أيضا إلى البحث عن الطرق والأساليب السلوكية الصحيحة التي تساهم في بناء الهوية الأنثوية الأصيلة، والمحافظة على الهوية الأنثوية الإسلامية من الضياع .

واتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي الإستقرائي عن طريق سرد مجموعة من المفاهيم والتعريفات وتتبع حال المرأة في المجتمع بذكر مجموعة من الأمور المسؤولة عن تشكيل الهوية الأنثوية، كما أنني استخدمت المنهج التحليلي النقدي عن طريق تتبع مجموعة الطرق السلبية التي انتهجتها مجموعة الأسر التربوية والمؤسسات الاجتماعية في تربية الأنثى، وتتبع هذه الثغرات عن طريق تسليط الضوء على بعض العناصر والأساليب التي كانت سببا في هدم الكينونة الأنثوية و ضياعها، عن طريق نقدها إثبات نجاح نقيضها، والبحث عن طرق الإصلاح والنجاة، ببناء هوية أنثوية سوية صالحة في المجتمعات الإسلامية.

2. مفهوم الثقافة الإنسانية ودورها في تشكيل الهوية عموما:

الثقافة وهي " مجموعة من العناصر التي لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل " ¹.
وتتمثل هذه العناصر في :

- مصادرها : وهي كل من اللغة، والفكر الإنساني.
- مكوناتها: تختلف وتتغير من مادية : كالملبس والمسكن ...، وفكرية : كالفن والدين والعلم ...، وكذلك اجتماعية : كالأفكار، والعادات والتقاليد ، والقانون ، وأخيرا الأعراف. ²
- فالثقافة هي الوعاء الحامل لجميع أفكار المجتمع وسلوكياته، وهي الرحم المولد للعادات والتقاليد. ³
- إذ إن أفراد المجتمع دائمين القيام بممارسات للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتنظيم أحوالهم وحياتهم، ويكررون القيام بها لتترسخ جذورها وتتحول إلى عادات إجتماعية ، يجب أن يخضع لها الجميع. ⁴
- فالجماعة تمارس القوة والسلطة الكاملة على الأفراد، بطريقة غير مباشرة ، تحت مسمى الأعراف، التي هي من صنع الأجداد فتضبط تصرفات الأبناء وتسيرهم ، وتوجه سلوكياتهم وتفكيرهم وتأثر على ذهنياتهم، وبالتالي تحدد هويتهم.

¹ غي روشيه، مقدمة في علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، 2002م، ج1، ص 198.

² لزهر مساعدي، في مفهوم الثقافة و بعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)، جوان 2017، ص 35،36.

³ إسعد فايزة، العادات الاجتماعية و التقاليد في الوسط الحضري بين التقليد و الحداثة، الصفحة 54.

⁴ محمد سعيدي، العائلة عاداتها و تقاليدها بين الماضي و الحاضر ظاهرة الإحتفالية بالأعياد نموذجا، ص45.

فيصبح الإنسان يدور في حلقة فارغة ، يقلد لا يفكر، يتبع لا يتميز. ليجد نفسه بعد مدة من الزمن في صراع بيوثقاني، في ظل مجموعة من التناقضات المختلفة ، وما تفرضه عليه الظروف و بيئته و تحديات الواقع و الحياة الآنية ، في محاولاته اليائسة لتخطي ، لتفرد، لتحقيق ذاته، كالغريق يتخبط وسط أفكار أجداده.

وبذلك تصبح هذه العادات أفيون الشعوب، والمدمر الحقيقي للطاقات. خاصة إذا وجدت في مجتمع ذكوري تقليدي أو نسوي متحرر، الأول فيه غلو وتطرف واستبداد، يجب التقييد ووضع الأغلال. تحت مسمى العادات. لتحقيق مآربه واحتياجاته الشخصية فقط. والثاني يفلت الحبل ويرخي تحت مسمى الحرية ويستغل الأنثى لزيادة الإستهلاك وبالتالي زيادة أرباحه.

والذي يجب أن نعرفه جيدا ونعيه هو :أن هذه الثقافة تكتسب بالتعلم والتعليم، فيمكن أن يضاف إليها كما أنه يمكن أن يلغى منها، فتتعدل نتيجة ذلك. وهذا ما ينطبق كذلك على عناصرها والتي تتمثل في كل من العادات والتقاليد والأعراف، حيث يعدلها التعليم أو يهذب من بعضها أو حتى يلغيها مع مرور الزمن.¹

3. أهم العناصر التي تساهم في تشكيل هوية الأنثى:

1.3 الأسرة:

من أجل دراسة أي تركيب اجتماعي، وفحص الخصوصيات الثقافية وسلوكيات الإنسان، يجب أن نركز اهتمامنا على الأساس والجوهر الذي يشكل كل فرد، والمتمثل في بنيته الأولية التي تبدأ من الأسرة.

فالأسرة هي اللبنة الأساسية في تكوين الفرد، وهي الأرضية الخصبة لتربية الطفل بشكل سليم، حيث تمثل أداة رئيسية في نقل الثقافة للأجيال، لا سيما القيم والعادات والتقاليد. ولكن للأسف، غالبًا ما يتم هذا النقل دون النظر إلى مدى تطابق هذه العادات والتقاليد مع مبادئ الإسلام أو صحتها وملاءمتها للأبناء، وقد يكون بعضها ضارًا بهم.

إن معظم الأسر في مجتمعاتنا لا تزال ترى في الفتاة شخصًا قاصرًا مهما تقدمت في السن، فتُربى على الخضوع التام للأعراف والتقاليد دون تشجيع على المبادرة أو الإبداع أو تحقيق ذاتها في خدمة دينها. وهذا يؤدي إلى إحباط رغبتها في بناء شخصيتها. من المهم أن نفهم أن التغيير سنة كونية لا يمكن تعطيلها، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالأعراف والتقاليد التي تخص المرأة فقط، كما هو الحال في المجتمعات الذكورية.²

¹ إسعد فايزة، العادات الاجتماعية و التقاليد في الوسط الحضري بين التقليد و الحداثة، ص 47.

² جون ستيورات مل، استبعاد النساء ، 2009م، ص 17 ، 18 ، 19.

تُعتبر الأسرة الأساس في تكوين شخصية المرأة وبناء هويتها منذ الطفولة حتى النضج. فالفتاة التي تنشأ في بيئة أسرية داعمة تنمو واثقة وقادرة على مواجهة التحديات، بينما تؤدي القيود أو غياب الدعم إلى ضعف شخصيتها. تتجلى أدوار الأسرة في عدة مستويات:

القيمي والتربوي: غرس قيم الحوار والمسؤولية بمنح الفتاة صورة إيجابية عن نفسها، بينما التهميش والقيود يولدان التردد والضعف.

النفسي والعاطفي: كلمات التشجيع تعزز الثقة والشجاعة، في حين أن العبارات السلبية تضعف الطموح وتُهز الثقة بالنفس.

التعليم والمعرفة: دعم التعليم يفتح أبواب الاستقلالية والنجاح، أما منعه فيغلق الآفاق ويحد من الإمكانيات. الأدوار الاجتماعية: الحرية في الاختيار تعزز المسؤولية والاستقلال، بينما الفرض والإجبار يسلبان حق تقرير المصير.

القدوة الأسرية: وجود نماذج ناجحة يرسخ الثقة والوعي، أما غيابها أو سلبية النماذج فيترك صورة الفتاة عن ذاتها. الانفتاح على المجتمع: التشجيع على المشاركة يطور الشخصية، بينما العزلة تضعف الخبرة والثقة. الأسرة قد تكون قوة دافعة نحو بناء هوية المرأة بثقة واستقلالية، وقد تتحول إلى عائق يحد من انطلاقتها، مما يجعل دورها محوريًا في تحديد شخصية المرأة ومكانتها في المجتمع.

لذلك كانت بعض الأسر التقليدية ذا سلطة أبوية متطرفة بحيث تهمش رأي الأنثى ووجودها وعدمه سواء وهذا أثر بالسلب على شخصية المرأة فأصبحت تابعة مقلدة محدودة الفكر والنظر والوعي فتعاني في تربية أطفالها وتجهل تسيير أمور بيتها وبالمقابل هناك من أرخى الحبل كله لها ومنحها الحرية كاملة منذ صغرها فضيحت نفسها وأسرتها ودينها.

لذلك يجب على المؤسسات التربوية و مؤسسات المجتمع المدني أن تركز على توجيه أفراد المجتمع الإسلامي إلى دور الأسرة في تربية المرأة المسلمة بشكل صحيح وعلى توعيتهم بأنهم عنصر هام في تكوين هويتها وشخصيتها، بحيث تكون قادرة على التفاعل مع التحديات المعاصرة، مستقلة فكريًا وعقليًا، متمسكة بعقيدتها. عليها أن تحقق ذاتها أولاً لكي تستطيع أن تتحمل مسؤولياتها وتساهم في تحسين وضع الأمة الإسلامية نحو الأفضل. فالمرأة يجب أن تكون قادرة على تجسيد المعنى الكامل للخلافة على الأرض.

2.3 مؤسسات التعليم والتعلم الديني:

تُعَدُّ مؤسسات التعليم الركيزة الأساسية في تكوين شخصية الأنثى وصياغة هويتها، فهي لا تقتصر على التعليم فحسب، بل تمتد لتشمل الرعاية النفسية والاجتماعية. ففي فضاءها تتاح للفتاة فرص المشاركة في أنشطة متنوعة كالمطالعة والرياضة والفنون، مما يعزز شعورها بالانتماء، ويُثَمِّي خبراتها ويكسبها القدرة على التفاعل مع الآخرين. وتسهم مؤسسات التعليم في تنمية شخصية الأنثى في مختلف جوانبها الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية. فمن خلال إشباع حاجاتها الأساسية، تصبح قادرة على التوافق مع ذاتها ومع محيطها، والتكيف مع متطلبات المجتمع والثقافة التي تعيش فيها. كما تعمل مؤسسات التعليم على إدماج عناصر الثقافة والحضارة في نسق شخصيتها، فتغدو أكثر وعيًا بدورها الاجتماعي وأكثر استعدادًا للاندماج في مجتمعها.

ولا يقتصر دورها على ذلك، بل تُعْنَى أيضًا بـإِكساب الفتاة القيم والاتجاهات الإيجابية مثل التعاون، الحرية، الاستقلال، والمسؤولية، إضافة إلى المعايير الاجتماعية التي تساعد على أداء أدوارها المستقبلية بوعي واتزان. كما تمنحها مؤسسات التعليم فرصًا لتعلم المهارات الاجتماعية الضرورية من خلال المشاركة في الحياة العامة والتدرب على الاعتماد على نفسها في مواجهة المشكلات¹.

أما على الصعيد العلمي والتربوي، فتُسهم في توسيع مدارك الفتاة وصقل قدراتها الفكرية، إلى جانب تحفيز خيالها وإطلاق طاقاتها نحو الإبداع والابتكار. ومن الناحية العملية والاقتصادية، توفر لها تكوينًا معرفيًا ومهنيًا يتناسب مع مستواها الفكري، ويؤهلها للاندماج الفعال في سوق العمل بما يلي حاجات المجتمع من الكفاءات.

وبذلك تصبح مؤسسات التعليم أكثر من مجرد مؤسسة تعليمية؛ إنها فضاء للتنشئة الشاملة، وميدان يهيئ الأنثى لبناء هويتها المستقلة، ويمنحها الأدوات اللازمة للانخراط بفاعلية في المجتمع والإسهام في تطويره.

إن إطار التعليم الديني للأنثى يكون منذ صغرها من خلال زرع خلق العدل والمساواة بينها وبين الولد وعدم التمييز بينهما لأنها تؤثر على تكوينها النفسي والاجتماعي وعلى شخصيتها بالسلب. وقد أولى التراث الإسلامي أهمية بالغة لهذه المسألة، حيث نهي النبي محمد ﷺ عن التفريق بين الأبناء في المعاملة، مؤكدًا خطورته على تماسك الأسرة وعلى البنية النفسية للطفل سواء كان ذكرًا أم أنثى. ويُستفاد من ذلك أن العدالة بين الذكر والأنثى داخل الأسرة ليست مجرد قيمة أخلاقية، بل ضرورة تربوية واجتماعية تضمن تنشئة سوية ومتوازنة وهي واجب تعليمي يقع على كاهل الآباء والمعلمين. وتتأكد الحاجة اليوم إلى تعزيز هذا المبدأ في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة والمجتمع، خاصة مع بعض الدعوات

¹ حمد محمد الزعبي، دور الأسرة ورياض الأطفال في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وإعداده لدخول المدرسة، 2009م، ص182.

التي قد تُسهم - ولو بشكل غير مباشر - في إضعاف الروابط الأسرية تحت مسميات مثل "حماية المرأة والأسرة" بغية إفساد المرأة والمجتمع.¹

كما يمثل أسلوب الخطاب الموجّه إلى الأنثى عنصراً أساسياً في تكوين شخصيتها، إذ إنّ استخدام العبارات الجافة أو القاسية يترك آثاراً سلبية على نفسيّتها. وقد قدّم النبي ﷺ نموذجاً تربوياً راقياً في هذا المجال، حيث كان يخاطب الأطفال موجهاً وناصحاً بلطف ولين مستخدماً عبارات مثل: «يا بني»، بما تحمله من معاني الرحمة والاحتواء. ومن هنا يتضح أن اعتماد خطاب ودود مع الطفلة يسهم في تعزيز ثقّتها بنفسها ويقوي علاقتها بمحيطها الاجتماعي وهذا مما ينبغي أن يكون عليه جوهر التعليم الديني من مشكاة النبوة.²

كما من حق الأنثى أن تعامل كإنسان كامل له احتياجات نفسية واجتماعية كغيرها، وفي مقدمتها الشعور بالاحترام والتقدير. وحتى تنشأ تنشئة اجتماعية سليمة لابد من الاهتمام بالجوانب التربوية والتعليمية معاً، إذ تساهم الأسرة والمربي والمعلم في بناء شخصية متوازنة للأنثى لهذا حثّ النبي عليه الصلاة والسلام على الإهتمام بالأنثى وتربيتها والإحسان لها من خلال معاملته لبناته وزوجاته ونساء المؤمنين أو من خلال الترغيب في ذلك كقوله عليه السلام: "من كان له ثلاث بنات، يؤدّهن، ويكفّهن ويرحمهن، فقد وجبت له الجنة البتة"³. كما تؤكد التربية النبوية والتعليم النبوي على أساليب فعّالة في هذا المجال، مثل اللطف في الخطاب، وإشعار الطفلة بالثقة واحترامها، ومصاحبته في مجالس الكبار مع الوالدة والنزهات، ومشاركتها الألعاب بما يعزز استقلاليتها. ويُعتبر التعليم أيضاً من الركائز الأساسية في تكوين شخصيتها الاجتماعية، سواء من حيث مضمونه العلمي أو أسلوبه التربوي، إلى جانب ترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية التي تمنحها الثقة بنفسها وتساعد على مواجهة التحديات بروح إيجابية.⁴

3.3 البيئة المحيطة:

تلعب البيئة والمجتمع دوراً أساسياً في تنشئة الأنثى ثقافياً واجتماعياً وسلوكياً وأخلاقياً، حيث تكتسب من خلالهما أنماط التفكير والقيم والمعايير التي ترسم شخصيتها وتحدد أدوارها المستقبلية. فالأنشطة الثقافية والاجتماعية توسّع آفاقها الفكرية وتنمي استقلاليتها وثقّتها بنفسها، بينما يسهم التفاعل الاجتماعي في تعزيز قدرتها على تكوين العلاقات الإنسانية المبنية على التعاون والمشاركة والحوار وتقبّل الرأي الآخر. وتُعتبر الصداقات في هذا السياق عاملاً مهماً، إذ تتيح للأنثى فرصاً لتعلّم المسؤولية الاجتماعية وتحمل تبعاتها. كما أن ممارستها للألعاب الجماعية أو التقمصية (كتمثيل أدوار

¹ منتصر نافذ أسمر، حق الطفل في التنشئة الاجتماعية السليمة من خلال السنة النبوية، جويلية 2022م، ص 190.

² منتصر نافذ أسمر، نفس المصدر، ص 191.

³ البخاري، الأدب المفرد، رقم 76.

⁴ منتصر نافذ أسمر، نفس المصدر، ص 204.

الأب أو الأم أو الأخ) تمكّنها من النظر إلى العالم من زوايا مختلفة، وتساعدنا على إدراك مكانتها في المجتمع وفهم مشاعر الآخرين. ومن خلال هذه الممارسات، تُنمّي لديها مهارات اجتماعية أساسية مثل القيادة، تحمل المسؤولية، وضبط الانفعالات، إضافة إلى إكسابها استقلالية ووعياً ذاتياً يجعلها أكثر قدرة على الاندماج الاجتماعي والالتزام بالقيم الأخلاقية الإيجابية¹.

كما أن المجتمع يساهم في تكوين سلوكيات الأنثى عبر القدوات التي تقتدي بها، سواء كانت إيجابية، فتغرس الثقة والقدرة على المبادرة، أو سلبية، فتضعف من ثقته بنفسها. وعلى المستوى الأخلاقي، فإن القيم السائدة في المجتمع – مثل العدالة والاحترام والتعاون – تمثل مرجعية تؤطر سلوكها وتوجه تصرفاتها، في حين قد يؤدي غيابها إلى خلل في بنيتها الأخلاقية.

وتتجلى هذه التأثيرات أيضاً في أبعاد النمو المختلفة؛ فالنمو الجسمي يتحقق عبر الأنشطة البدنية والرياضية داخل المدارس أو في الأطر المجتمعية غير الرسمية، مما يمنح الأنثى اللياقة والشعور بالحياة. أما النمو الفكري فيتجسد من خلال تبادل الأفكار وطرح البدائل أثناء التفاعل مع الآخرين، وهو ما يوسع من آفاقها العقلية. ويبرز النمو النفسي عبر شعورها بالانتماء والتقدير أثناء مشاركتها في الأنشطة الجماعية، مما يعزز ثقته بذاتها ويدعم طاقاتها الإبداعية. كما يظهر النمو الاقتصادي والثقافي من خلال ممارسات التبادل المادي والمعنوي، سواء عبر مشاركة الأدوات والألعاب أو من خلال التفاعل في الفضاءات الإلكترونية الحديثة، وهو ما يعكس أثر العولمة الإلكترونية في إعادة تشكيل دوائر الصداقة والتنشئة الاجتماعية².

وفي ضوء ذلك، يتضح أن البيئة والمجتمع لا يقتصر تأثيرهما على بعد واحد في شخصية الأنثى، بل يشمل منظومة متكاملة من الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسلوكية والأخلاقية، وهو ما يجعل تنشئتها رهينة بجودة هذا المحيط وقيمه السائدة.

4. السلوكيات المؤثرة سلباً على تكوين هوية وشخصية المرأة:

تؤثر سلوكيات التربية داخل الأسرة تأثيراً مباشراً في تشكيل شخصية الأنثى وسلوكها، حيث لا يقتصر دور الأسرة على تلبية حاجاتها المادية، بل يمتد ليشمل بناء ثقته بنفسها وصورتها عن ذاتها. فالتربية المتوازنة القائمة على التقدير والاحترام تمنحها سلامة نفسية واجتماعية، وتساعدنا على تنمية استقلاليتها وقدرتها على الإبداع والمشاركة الفاعلة في المجتمع. إن التنشئة السليمة تعزز لدى الأنثى الثقة بالنفس وما يترتب عنها من آثار إيجابية مثل الاستقرار النفسي

¹ بن مبارك فائزة، التنشئة الاجتماعية للطفل في المجتمع الريفي الجزائري، 2018م، ص116.

² بن مبارك فائزة، مرجع سابق، ص119.

والاجتماعي، سلامة العلاقات الإنسانية، القدرة على التعلم، والحرية في اتخاذ القرارات، الأمر الذي يجعلها أكثر قدرة على المساهمة في بناء مجتمع قائم على القيم الأخلاقية والمشاركة الإيجابية مع الآخرين.

كما تُعدُّ سلوكيات التنشئة السلبية من أبرز العوامل المحددة لهوية الأنتى وتوجهاتها النفسية والاجتماعية، إذ تؤثر في ثقتها بذاتها، وفي قدرتها على التفاعل مع الآخرين. ومن بين هذه السلوكيات:

- سلوك التسلط: يفرض فيه الوالدان آرائهما على الطفل دون فسحة للتعبير عن ميولها، مع الاعتماد على العقاب والتهديد أكثر من الشرح والإقناع. هذا النمط يُضعف ثقتها بنفسها، ويقتل فضولها ورغبتها في الاكتشاف، فتشَبُّ شخصية خائفة، مترددة، ومنسحبة اجتماعيًا منعزلة عن المجتمع فاقدة الثقة. وغالبًا ما تحمل الأنتى هذه المخاوف إلى مرحلة الرشد، فتكون عاجزة عن اتخاذ قرارات مستقلة أو مواجهة المواقف الحياتية بثقة.
- سلوك القسوة: يقوم على العقاب البدني أو النفسي المتكرر كالتأنيب وإشعار الطفل بالذنب. هذه الممارسات تُنمِّي لديها شعورًا دائمًا بالظلم والاضطهاد، وتكوّن ضميرًا قاسيًا مفعمًا بالكراهية. ومع مرور الوقت، قد تصاب الأنتى بالقلق، الانطواء أو العدوانية المكبوتة، وهو ما ينعكس على علاقاتها المستقبلية بالأسرة أو الزوج أو المجتمع¹.
- سلوك التفرقة: عندما تُفضِّل الذكور على الإناث في الرعاية والاهتمام، يتولد لدى الطفل إحساس بالحرمان واللامساواة. هذه المعاملة تغرس فيها شعورًا بالظلم والحقد، وتضعف إحساسها بالانتماء والعدالة، ما قد يفضي إلى شخصية انعزالية، فاقدة للثقة بالوالدين وبذاتها على حد سواء.
- سلوك التذبذب في المعاملة: يؤدي التناقض في ردود أفعال الوالدين تجاه سلوك الطفل إلى إرباكها، فتفقد قدرتها على التمييز بين الصواب والخطأ. هذا الصراع الداخلي يولّد شخصية قلقة مترددة في اتخاذ القرارات، ويجعلها أكثر عرضة للتبعية وعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي².
- سلوك التسامح المفرط: يُفضي إلى إشباع رغبات الطفل دون ضوابط، ما يضعف ضبطها الذاتي ويجعلها شخصية اتكالية، قليلة الصبر أمام الإحباطات. كما قد تترسخ لديها نزعة عدوانية أو استغلالية لاعتقادها أن الجميع سيخضع لمطالبها كما اعتادت داخل الأسرة.
- سلوك النبذ والإهمال: ينتج عن تجاهل حاجات الطفل النفسية والعاطفية، وعدم الالتفات لسلوكها إيجابيًا كان أو سلبًا. هذا الإهمال يجعلها تبحث عن الانتماء خارج نطاق الأسرة، مما يزيد من احتمال تعرضها لانحرافات أو علاقات غير آمنة، نتيجة لغياب الإشباع العاطفي داخل البيت.

¹ بن مبارك فائزة، مرجع سابق، ص 139.

² بن مبارك فائزة، مرجع سابق، ص 142.

- سلوك الحماية الزائدة: حين يبالغ الوالدان في رعاية الطفلة والقيام بمهامها بدلاً عنها، فإنهما يعيقان نمو استقلاليتها. تكبر الأنثى ضعيفة الشخصية، قليلة الثقة بنفسها، تعتمد على الآخرين في قضاء شؤونها، وغير قادرة على مواجهة تحديات الحياة. كما قد تنشأ قلق، متمردة، أو منسحبة نتيجة حرمانها من تجربة الاستقلالية والاعتماد على الذات¹.

5. " تشييء الأنثى " بين ظلم المخيال الذكوري وعدل الإسلام:

إنّ المآزق الأكبر الذي تعيشه المرأة في عصرنا المعاصر لا يقتصر على مسألة التحرّر الشكلي أو المطالبة ببعض الحقوق المدنية والاجتماعية، بل يتجاوز ذلك إلى ما هو أعمق وأكثر خطورة، وهو خضوعها لصورة نمطية مصطنعة تُفرض عليها من قبل منظومات مختلفة. فالمجتمع الذكوري من جهة يرسم لها هوية أنثوية تُحتزل في الجسد، ويحوّلها إلى "نموذج استهلاكي" يخضع لمعايير السوق ومتطلباته، فيُشَيء المرأة ويعاملها كما تُعامل البضاعة أو الممتلكات الخاصة، فينزع عنها إنسانيتها ويحصر قيمتها في مدى مطابقتها لتلك المعايير المصطنعة.

لكن من جهة أخرى، لا تقل خطورة بعض التيارات النسوية الحديثة التي وقعت في فخ استغلال المرأة بدعوى تحريرها. فبدل أن تسعى لإبراز إنسانيتها الكاملة ودورها الحضاري، دفعتها في كثير من الأحيان إلى التركيز على الجسد وإلى تبني خطاب استهلاكي جديد يجعلها أسيرة عمليات التجميل، والموضات، والمنتجات التي تُسوّق باسم "الحرية" و"التمكين". وهكذا تتحول دعوات التحرّر ذاتها إلى أداة لإعادة إنتاج الاستلاب بصيغة مختلفة، إذ تُساق المرأة طواعية وراء سراب الجسد المثالي، الذي يفرض عليها معاناة نفسية وجسدية، ويدخلها في سباق لا ينتهي من المقارنات والعمليات والتضحيات.

وبين مطرقة الصورة الذكورية التقليدية وسندان الاستغلال النسوي الموجه بالسوق والعولمة، تجد المرأة نفسها في حالة اغتراب مزدوج:

- اغتراب ذاتي: يتمثل في عجزها عن التوافق مع ذاتها الحقيقية، وانشغالها المستمر بمحاولة بلوغ "النموذج المثالي" المصنوع اجتماعيًا وإعلاميًا.

- اغتراب اجتماعي: حيث تصبح رهينة لنظرات الآخر (سواء كان الرجل أو خطابًا نسويًا استهلاكيًا) يُحكم جسدها ويعيد تشكيل كينونتها وفق معايير خارجية لا علاقة لها بكرامتها الإنسانية. وبذلك، تتحول المرأة إلى موضوع استهلاك وإلى وسيلة في يد قوى متعارضة ظاهريًا لكنها متفقة عمليًا على استغلالها؛ الذكورية التقليدية

¹ بن مبارك فايّة، مرجع سابق، ص 146.

من جهة، والنسوية الاستهلاكية من جهة أخرى، بينما تغيب رؤيتها الأصيلة لذاتها باعتبارها إنساناً كاملاً الأهلية والكرامة.¹

في التصور الإسلامي "تشبيء المرأة" مرفوض تماماً لأنه يتعارض مع مبدأ تكريم الإنسان عاقمة، والمرأة خاصة. القرآن الكريم وضع قاعدة عامة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، فجعل الكرامة حقاً أصيلاً لكل إنسان، لا تُنتقص بسبب الجنس أو اللون أو المكانة الاجتماعية.

الإسلام قدّم المرأة باعتبارها إنساناً كاملاً الأهلية، لها حقوق وواجبات، وليست أداة للمتعة أو وسيلة لخدمة غيرها. في نصوص كثيرة، تُعامل المرأة كشريكة في التكليف الديني: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]. وهذا تأكيد أن القيمة في الإسلام تُبنى على العمل والإيمان، لا على الجسد أو المظهر.

التشبيء عادة يقوم على تقليل المرأة إلى جسد أو وسيلة متعة. الإسلام رفض ذلك بوضوح، واعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على الاحترام والمودة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]. فهي علاقة إنسانية قائمة على السكينة والمودة، وليست على استغلال جسد المرأة.

الإسلام وضع ضوابط لحماية المرأة من الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي وتمنع التعامل مع المرأة كسلعة في الأسواق أو كأداة في الإعلانات أو كوسيلة لجذب الانتباه. مثلاً، حرم الاتجار بجسدها عبر البغاء أو عرضها في مواطن الامتهان، وربط ذلك بجرائم أخلاقية تُفسد المجتمع.

المرأة في الإسلام مسؤولة وفاعلة: ترث، تباع، تشتري، تعمل، تطلب العلم، وتشارك في الشأن العام. وقد كانت الصحابيات نماذج حيّة في مجالات التعليم، الطب، الجهاد، والإفتاء. وهذا يُبرز أن الإسلام لا يحصرها في الجسد بل يوسّع مجال وجودها ليشمل العطاء الفكري والاجتماعي. فهامي سيدتنا خديجة رضي الله عنها تتاجر بمالها وتعين الخدم وهذا لقيمتها الإقتصادية والفكرية ومساندتها للرسول عليه السلام في محنته ودعوته ودعمها له حازت شرف أن تكون سيدة نساء العالمين بعيدة عن تشيئها. وهذه سيدتنا عائشة رضي الله عنها عالمة حافظة لسنة رسول الله عليه السلام ومفتية بلغت هذه المرتبة كونها أنثى مجتهدة متابرة غيرة على دينها تريد نشره.

بينما تُشبيء بعض الثقافات المرأة عبر تضخيم جسدها أو استعراضه، والإسلام يربط قيمة الجسد بالعفاف والستر والاحترام. فاللباس الشرعي مثلاً لم يُفرض لتقييد المرأة بل لحمايتها من أن تُعامل كجسد فقط، بل تُقدّر على أساس فكرها وأخلاقها.

¹ مجموعة من الأكاديميين العرب، إشراف علي عبود المحدث والمحدث، 2013م، الفلسفة والنسوية، ص355.

إن نظرة الإسلام للمرأة تنطلق من تكريمها كإنسان كامل الحقوق والواجبات، وتحريرها من ثقافة التشيي التي تختزلها في جسدها أو مظهرها. فهي في الإسلام شريكة في العبادة والعلم والعمل والمجتمع، وتُقدَّر بما تقدمه من فكر وسلوك وعمل، لا بما تُظهره من جسد.

6. العمل على تحقيق الهوية الأنثوية المسلمة:

تُعَدُّ الهوية الإسلامية للمرأة المسلمة أحد المرتكزات الأساسية في بناء شخصيتها وتوجيه مسارها في مختلف جوانب الحياة. فهي لا تقوم على بعد واحد، بل تنبع من منظومة متكاملة تستند إلى العقيدة الإسلامية بما تحمله من قيم إيمانية وروحية، وإلى المرجعية الحضارية والثقافية للأمة.

فهوية المرأة المسلمة تُعرَّف من خلال التزامها بالشعائر الدينية، واعتزازها بانتمائها للإسلام، وسعيها لتجسيد تلك القيم في واقعها الاجتماعي والفكري. كما تميزت الهوية الإسلامية للمرأة بقدرتها على تحقيق التوازن بين الاستقلالية الفردية والاندماج الفاعل في المجتمع، حيث تملك حقوقاً أصيلة كحقها في التعليم والمشاركة في الحياة العامة، وفي الوقت نفسه تتحمل مسؤوليات شرعية وأخلاقية كالدعوة إلى الخير وحماية القيم وصون الأسرة¹. ومن هذا المنطلق، لا تُختزل هوية المرأة المسلمة في صورة تقليدية أو نمطية، بل هي إطار شامل يربط بين أصالتها الدينية وفعاليتها الحضارية، مما يجعلها ركناً محورياً في صيانة هوية الأمة الإسلامية وتعزيز حضورها في مواجهة تحديات العصر.

تُعَدُّ الهوية النسوية ركيزة محورية في تشكيل شخصية المرأة المسلمة وبناء وعيها الذاتي والاجتماعي، فهي ليست مجرد شعور بالانتماء، بل منظومة متكاملة من القيم والمبادئ والمعتقدات التي تمنحها الثبات والقدرة على التفاعل مع واقعها. فإذا كانت الهوية واضحة ومتماسكة، انعكس ذلك على شخصية المرأة بالثقة والاستقرار النفسي، وقدرة واعية على مواجهة التحديات وممارسة دورها الاجتماعي بإيجابية. أما إذا اتسمت هويتها بالاضطراب أو التشويش، فإنها تصبح أكثر عرضة لفقدان التوازن الداخلي، وتفقد القدرة على اتخاذ القرارات السليمة، مما قد يفضي إلى هشاشة في المواقف وضعف في البناء الأخلاقي والسلوكي.

وقد أولى الإسلام أهمية كبرى للهوية، باعتبارها أساساً لحفظ الكرامة الإنسانية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وهو تكريم يشمل المرأة والرجل على حد سواء، ويؤكد على أن أساس الانتماء هو الكرامة الإنسانية لا التبعية. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، إشارة إلى أن وضوح الهوية الإيمانية يعزز الثقة بالنفس والقدرة على الثبات أمام التحديات.

وفي السنة النبوية، رسَّخ الرسول ﷺ هذا المفهوم من خلال معاملته للنساء باعتبارهن شريكات في بناء المجتمع، كما ورد فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نعم إنما النساء شقائق

¹ خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، 2009م، ص 47.

الرجال)¹. وهذا النص يرسخ مبدأ المساواة في التكليف والكرامة، ويؤكد أن المرأة المسلمة بحويته الأصلية ليست كياناً تابعاً، بل طرفاً فاعلاً في البناء الحضاري.

إن الهوية الواضحة تحمي المرأة من الدوبان في الخطابات التغريبية التي تسعى إلى سلخها عن جذورها، وتجعلها قادرة على الانفتاح الإيجابي على العصر دون فقدان أصالتها. فهي السياج المعرفي والقيمي الذي يضمن لها التوازن، ويُعينها على ممارسة دورها الحضاري، باعتبارها عنصراً أصيلاً في حفظ القيم ونقل الثقافة والمشاركة الفعالة في تنمية المجتمع. غير أن التفكك الاجتماعي من أبرز الظواهر السلبية التي تهدد النسق القيمي في المجتمعات الإسلامية، حيث يؤدي إلى تفكيك البنى الأسرية وإضعاف منظومة الضبط الاجتماعي. وتعدّ المرأة المسلمة من أكثر الفئات تأثراً بهذه الظاهرة؛ إذ ينعكس غياب التماسك الأسري على استقرارها النفسي والاجتماعي، ويجعلها عرضة لفقدان الهوية والانجرار وراء أنماط ثقافية دخيلة تُسوِّق تحت شعارات الحرية الزائفة وعدم استقرار اقتصادي يجبرها على الخروج للعمل ربما بطرق غير مشروعة خصوصاً في الدول الفقيرة التي يندر فيها مناصب الشغل.

إن التفكك الاجتماعي يُضعف عمليات التنشئة السليمة، ويجعل المرأة في مواجهة مباشرة مع تحديات الانعزال أو الانحراف عن التعاليم الإسلامية التي تشكّل الإطار المرجعي الأصيل لحياتها. كما يؤدي إلى تراجع القيم الأخلاقية والدينية التي تُعدّ الضامن الأساسي لاستقرار العلاقات الاجتماعية، مما يهدد بتفشي أنماط سلوكية غير منسجمة مع ثقافة المجتمع الإسلامي.

ولذلك، فإن الحفاظ على التماسك الاجتماعي وبناء نسق قيمي قائم على العقيدة الإسلامية الصحيحة يُعدّ شرطاً جوهرياً لحماية المرأة المسلمة وصون كرامتها، بما يضمن لها القيام بدورها في استقرار الأسرة والمجتمع. فإعادة الاعتبار للتنشئة الأسرية المرتكزة على الإيمان والقيم الأخلاقية في الذات الأنثوية المتشربة بالمبادئ الأصلية والسامية، والقيم والمثل الإنسانية العليا، التي رسمها لها الدين الإسلامي² هو الطريق الأمثل لمواجهة مخاطر التفكك، وتحقيق حياة متوازنة ومستقبل أكثر رسوخاً للأمة.

ينبغي للأثنى أن تدرك أن الخطاب النسوي المعاصر لا يخدم المرأة المسلمة، بل يقف في كثير من جوانبه على خلاف فطرتها الإنسانية السليمة. فبدلاً من تمكينها، يؤدي إلى تقويض مقوماتها الجوهرية عبر الدعوة إلى مساواة مطلقة مع الرجل، وهو طرح يتجاهل الفوارق الفسيولوجية والوظيفية بين الجنسين. إن المساواة التامة لا تحقق العدل بالضرورة، لأن العدالة الحقيقية تقوم على مراعاة الاختلافات الطبيعية وتقدير الخصوصيات المتأصلة في كل طرف. ومن ثمّ، فإن العدل أسمى من المساواة المطلقة، بل قد يرتقي إلى درجة الإحسان في إنصاف المرأة وصون كرامتها.

¹ أبو داود، سنن أبي داود، في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلبل في منامه. رقم 236.

² هناء بوحارة، أزمة الهوية وإشكالية الابتعاد عن الدين بين مطرقة الأصالة وسندان العولمة، ديسمبر 2016، ص 148، 151.

وقد أكد القرآن الكريم على مبدأ العدل لا المساواة المطلقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: 32]. حيث يظهر جلياً أن العدالة تقوم على إعطاء كل جنس ما يناسب طبيعته ووظيفته.

إن ما ترفعه الحركة النسوية من شعارات المساواة المطلقة وما يتبعها من أفكار فرعية يفضي في كثير من الأحيان إلى تهديد استقرار المرأة والمجتمع، إذ تدعو إلى تحطيم السلطة الأبوية بشكل عام دون تمييز، وتسعى إلى تفكيك الأسرة المكونة من الرجل والمرأة من خلال ما تصفه بـ "الفقر المؤنث". كما تروج لفكرة امتلاك الأنثى لجسدها على نحو يتعارض مع العقيدة الإسلامية التي تؤكد أن الجسد ملك لله تعالى وخاضع لشرعه. ورغم أن هذه الشعارات تبدو جذابة في ظاهرها، إلا أنها تحمل في حقيقتها معاني الانحراف والخراب، فتغري المشاعر الأنثوية بالدفاع عنها بينما تقود في عمقها إلى الإضرار بالمرأة قبل غيرها.

من هنا، يتعين على المرأة المسلمة أن تتحصن بالمرجعية الإسلامية، وأن تتفقه في دينها، لتبصر حقيقة هذه الدعوات وتكون وعياً أنثوياً إسلامياً راسخاً يحميها من الوقوع في فخ الفكر النسوي الغربي. فهي قادرة، ضمن إطار الشريعة، على المشاركة الفاعلة في العمل الاجتماعي، من غير أن تفقد هويتها الأنثوية أو دورها الأسري كأم وزوجة وابنة. كما يمكنها أن تحقق ذاتها بوصفها عالمة أو مفكرة أو مصلحة، تساهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة ونشر الوعي الإسلامي الصحيح.

فالمرأة ليست كياناً معزولاً عن المجتمع، بل عنصر أساسي في نخصته، ويجب إعدادها منذ الصغر على طلب العلم ومجاهدة النفس والافتداء بخيرة النساء من زوجات النبي ﷺ، والصحابيات، والعالمات والمفكرات المسلمات اللواتي كان لهن دور بارز في قيادة الأمة نحو الارتقاء، لا في تقليد نماذج دخيلة. ومن هذا المنطلق، يبقى للتربية الدور الأعمق في إعداد جيل صالح منتج، تحمله المرأة على عاتقها لبناء مستقبل أكثر وعياً وعدلاً.¹

لا يمكن بناء أفراد صالحين يسهمون في نخصة الأمة إلا بإعداد نساء فاضلات، واعيات، معتزات بدينهن وأصالتهن، محصنات بكرامتهن الإنسانية، حاملات لرسالة أمتهم، مدركات لخطورة الدور الملقى على عاتقهن. فالمرأة المسلمة لا بد أن تكون منتجة في فكرها وعملها، صانعة للأمل، مناضلة في سبيل الحق، راسخة في احترام ذاتها وإنسانيتها.

ولا يتحقق ذلك إلا عبر مراجعة التصورات الثقافية الذكورية الهدامة وتصحيحها، والتخلص من العادات السامة التي أفرزت جيلاً نسوياً متمرداً على الدين بغير وعي أو فكر، مغرراً به بمشروع تحرري يشبع نزواته ورغباته. فالمقاومة لم تعد

¹ أيوب المومني، تربية المرأة في فكر القرضاوي، 2005م، ص 147.

في جوهرها سعيًا لتحقيق الحرية المنشودة، بل تمرّدًا لأجل التمرد فحسب، وهو ما جعل كثيرًا من النساء ينزلن في فكر لا يخدم هويتهن الإسلامية.

ومن هنا تبرز ضرورة كبح الفكر النسوي الغربي وما نتج عنه من مخاطر تمس الدين والهوية الأنتوية للمسلمة، عبر تعزيز وعيها بمرجعيتها الشرعية، وتمكينها من بناء ذاتها وفق منهج يقوم على العدل والإحسان، لتظل عنصرًا فاعلاً في المجتمع دون أن تفقد أصالتها أو قيمتها الحقيقية.

7. خاتمة:

وفي الختام يمكن استنتاج أن الهوية الأنتوية وعناصرها والعوامل المؤثرة فيها يعتبر بالغ الأهمية ويحتاج إلى جهود كبيرة متضافرة للإهتمام به. وقد استخلصت النتائج من بحثي ما يلي:

- الثقافة بما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف تشكل هوية الفرد والمجتمع وتؤثر في سلوكياته وتفكيره، لكنها قد تتحول إلى قوة مقيدة للحرية والإبداع إذا لم تُهذَّب بالتعليم والتربية الواعية، خاصة في المجتمعات التي يغلب عليها الاستبداد الذكوري أو الانفلات النسوي، مما يستدعي مراجعتها وتقويمها بما يخدم التوازن والنهضة.
- الأسرة تمثل الركيزة الأساسية في تشكيل شخصية المرأة وبناء هويتها، حيث يمكن أن تكون عامل دعم يرسخ الثقة والاستقلالية أو عائقًا يضعفها ويقيدتها، مما يستدعي توعية المجتمع بأهمية تربية المرأة المسلمة تربية متوازنة تجمع بين الثبات على العقيدة والقدرة على مواجهة التحديات المعاصرة لتكون فاعلة في أسرتها ومجتمعها وأمتها.
- مؤسسات التعليم تشكل محورًا أساسيًا في بناء شخصية الأنثى وصياغة هويتها من خلال الجمع بين التعليم والرعاية التربوية والنفسية والاجتماعية، فهي فضاء للتنشئة الشاملة يزود الفتاة بالمعرفة والقيم والمهارات التي تعزز استقلاليتها وانخراطها الإيجابي في المجتمع.
- أهمية العدالة بين الجنسين في التنشئة، والاهتمام بالخطاب الودي والرحيم الموجه للأنثى، تأسيًا بالتربية النبوية، بما يضمن تكوين شخصية متوازنة قادرة على مواجهة التحديات، والإسهام في تطوير المجتمع مع الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية.
- البيئة والمجتمع يشكلان إطارًا حاسمًا في تنشئة الأنثى وبناء شخصيتها على المستويات الثقافية والاجتماعية والسلوكية والأخلاقية، حيث تُسهم الأنشطة والتفاعلات والقنوات في توسيع مداركها، وتنمية استقلاليتها وثقتها بنفسها، وترسيخ القيم التي توجه سلوكها.
- كما أن تأثير المجتمع يمتد ليشمل مختلف أبعاد نموها الجسدي والفكري والنفسي والاقتصادي، مما يجعل جودة المحيط الاجتماعي والثقافي عاملاً أساسيًا في صياغة هويتها وأدوارها المستقبلية.

- سلوكيات التربية الأسرية تشكّل العامل الأساسي في بناء شخصية الأنثى وتحديد مسارها النفسي والاجتماعي، فالتنشئة المتوازنة القائمة على التقدير والاحترام تنمّي الثقة والاستقلالية والإبداع، بينما تؤدي أساليب التنشئة السلبية إلى ضعف شخصيتها واضطرابها.
- الإسلام يرفض تشييء المرأة بشكل قاطع، ويكرمها كإنسان كامل الحقوق والواجبات، فيقدّر قيمتها بعلمها وإيمانها وعملها، لا بجسدها أو مظهرها، ويؤسس لعلاقتها بالرجل على المودة والرحمة والشراكة، مع وضع ضوابط تحميها من الاستغلال وتضمن مشاركتها الفاعلة في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية.
- الهوية الإسلامية للمرأة تمثل أساساً في بناء شخصيتها وصون كرامتها، فهي تقوم على العقيدة والقيم الحضارية للأمم، وتوازن بين استقلاليتها الفردية ودورها الاجتماعي. غير أن هذه الهوية تواجه تهديدات من التفكك الاجتماعي ومن الفكر النسوي الغربي الداعي للمساواة المطلقة، مما يفرض على المرأة المسلمة التمسك بمرجعيّتها الشرعية، وتحصين ذاتها بالعلم والقيم الإسلامية.

8. المصادر و المراجع:

- البخاري، محمد ابن اسماعيل، 2021م، الأدب المفرد، ت: سليم علوان، دار المشاريع، لبنان.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، 1996م، سنن أبي داود، ت: الخالدي، دار الكتب العلمية، لبنان.
- خليل نوري مسيهر العاني، 2009م، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق.
- غي روشيه، 2002م، مقدمة في علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، ترجمة: مصطفى دندشلي، ج1، مكتبة الفقهية، بيروت.
- مل، جون ستيورات، 2009م، استعباد النساء، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.
- مجموعة من الأكاديميين العرب، إشراف: علي عبود المحمداوي، 2013م، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- إسعد فايزة، 2011-2012م، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة مقارنة سوسيو- أنثروبولوجية لعادات الزواج والختان - مدينتي وهران وندرومة نموذجاً، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.
- المومني، إنصاف أيوب، 1426هـ 2005م، تربية المرأة في فكر القرضاوي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الأردن.

- فايزة، بن مبارك، 2018م، التنشئة الاجتماعية للطفل في المجتمع الريفي الجزائري (دراسة ميدانية بلدية سريانة)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الريفي، جامعة الحاج لخضر - باتنة.
- الزعبي، حمد محمد، سنة 2009م، دور الأسرة ورياض الأطفال في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وإعداده لدخول المدرسة، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، قطر، العدد 170.
- سعيدي، محمد، أفريل 1998م، العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر ظاهرة الإحتفالية بالأعياد نموذجاً، مجلة إنسانيات، وهران، العدد 4.
- أسمر، منتصر نافذ، جويلية 2022م، حق الطفل في التنشئة الاجتماعية السميمة من خلال السنة النبوية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، المجلد 13، العدد 2.
- لزهر مساعدي، جوان 2017م، في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدب، المركز الجامعي، ميله، الجزائر، العدد التاسع.
- هناء بوحارة، ديسمبر 2016م، أزمة الهوية وإشكالية الابتعاد عن الدين بين مطرقة الأصالة وسندان العولمة، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، العدد الرابع.